

# التأويلية

- مفهومها .
- الهرمينوطيقا والمنهج .
- التأويل الفني لجادامر .

الدكتورة جميلة قوجيل  
جامعة البليدة 2 لوئيسي علي

## - مفهومها وظهورها:

التأويلية أو الهرمينوطيقا Hermeneutique كلمة مأخوذة من الأصل اليوناني الكلاسيكي Hermeneus هرمس وتعني المفسر أو الشارح ، وهو في الأساطير اليونانية الوسيط بين الآلهة والبشر. وقد ارتبطت الهرمينوطيقا بتفسير النصوص المقدسة<sup>1</sup> ، فهي علم قواعد تفسير الإنجيل ، حيث اعتبر " كتابة Ecriture مقدسة قابلة للنقد الفيلولوجي والتفكيك الفلسفي وبالتالي قابلة لاختراق التقديس فيها من خلال إعادة الكتابة الإنسانية بالترجمة والتفسير ، إذ كل قراءة هي تأويل إنساني يختلف عن النص المكتوب ويرتبط بالفعل التاريخي الراهن لعملية الفهم "<sup>2</sup>.

أمّا التأويلية الحديثة التي لم يعد مجال عملها حكرا على النص الديني بل انتقل إلى مجال الفلسفة والنقد الأدبي فقد ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر على يد دلثاي و شلرماخر اللذين اعتبرا القراءة كتابة إبداعية ثانية وليست مجرد تلق ، والفهم محاولة إعادة بناء للعملية الإبداعية للكاتب<sup>3</sup> . ومنه تهتمّ الهرمينوطيقا بعملية الفهم، فهم الذات للعالم الذي تعبّر عنه اللغة ، وهي حسب ريكور " تأمل حول عمليات الفهم الممارسة في تأويل النصوص"<sup>4</sup>.

تستند هذه النظرية فلسفيا ومعرفيا إلى الظاهرية في نظرتها للذات والوجود ، حيث " تأتي لتتوجّ الجهد الظاهراتي الهوسرلي في الاستعاضة عن المناهج العلمية في العلوم الإنسانية بمقاربة معرفية أعمق وأشمل ، وهي تتطلق من فهم الذات

<sup>1</sup> - ينظر : دايفيد جاسبر : مقدّمة في الهرمينوطيقا ، تر: وجيه قانصو ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط1 ، 2007 ، ص 21-22 .

<sup>2</sup> - عمارة الناصر : اللغة والتأويل - مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، دار الفارابي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط1 ، 2007 ، ص 68 .

<sup>3</sup> - ينظر : دايفيد جاسبر : مقدّمة في الهرمينوطيقا ، ص 133 .

<sup>4</sup> - نفسه ، ص 19 .

والإطاحة بالأوهام المحيطة بها " 5. وتتم معرفة الذات وفهم العالم عن طريق اللّغة  
ولكونها إنتاجا ذاتيا يجب فهم العلاقة بينها وبين هذه الذات ، لذلك فمقاربة العالم  
هي مقارنة اللّغة التي تنقله ، ومنه " ... ترتبط الهرمينوطيقا كفن للتأويل والفهم  
بالنص كموضوع ينوب عن العالم الذي تحمل دلالاته ورموزه ، وعلى التأويل أن  
ينجز الخطاب الذي تحمل فيه اللّغة العالم إلى النص " 6 . من أهمّ أعلامها كما  
سبق ذكره : دلثاي ، شلايرماخر ، هانز جورج جادامر ، و بول ريكور .

#### - الهرمينوطيقا والمنهج :

يهتم غادامر بالفهم دون اشتراط خضوعه لمنهج علمي ، وإنّما المهمّ هو المعرفة  
والحقيقة ، وليس الأمر مسألة منهج حيث تتحوّل الغاية إلى غاية منهجية كما  
حدث في البنيوية فينتج عن ذلك اتّساع الهوّة بين الذات وموضوعها ، ومن خلال  
منظورها لا وجود لتقنية لفهم الوجود عن طريق الذات ، وإنّما تعتمد التأمّل الداخليّ  
لا المنهج العلميّ الذي يترتّب عنه الحصول على نتائج منطقية ، " فالتأويل بهذا  
المعنى يستغرق في كينونة الموضوع المؤوّل على غرار الظواهرية فاتحا بذلك عالم  
الذات على عالم النص دونما مساءلة منهجية أي أنّه لا توجد نظرية في التأويل  
مستقلة عن تطبيقه ، فهو ليس منهجا ، حيث نستطيع تعلّمه وتطبيقه على حقل  
من الموضوعات بل هو تطبيق لتجربة عملية معتمدة على التأويل الداخليّ المحايث  
للحياة " 7 .

إنّ عدم اعتبار الهرمينوطيقا منهجا ينتج عنه عدم وجود تأويل صحيح وآخر  
خاطئ ، بل تحتلّ التأويلات المتعدّدة فهي حقيقة إمكانية وليست حقيقة منطقية،

5 - دايفيد جاسبر : مقدّمة في الهرمينوطيقا ، ص 15 .

6 - نفسه ، ص 19 .

7 - عمارة الناصر : اللغة والتأويل ، ص 31 .

وبذلك فهي فنّ وليست علما " والفنّ معروض في جماليته لا في منطقيته ، وفي مستوى تخييليّ يمكن من خلاله معارضة الحقيقة الداخلية للنص والتي يفرضها المستوى الواقعي لتركيب العبارات والعلاقة المرجعية بين الدال والمدلول " <sup>8</sup> . وتتمّ محاورة النص ومساءلته فينتج عن ذلك تأويلات متعدّدة قد تصل إلى حدّ التناقض، إلا أنّ ذلك لا يعني عدم وجود جهاز مفاهيمي وقواعد تعتمد على التّأويلية حيث تستعير مفهوم البنية ومنه تتحدّد المهمّة الهرمينوطيقية حسب غادامير في الجمع بين الاختلاف في الفهم والقراءة ووحدة النص ، لذلك فمن أهمّ مفاهيمها وقواعدها التّقييد والاستعادة اللاتقيدية حيث يكمن التّقييد في أنّ النصّ يوجد بما يوجد به من معنى وفق طريقة تنظيمه وارتباط أجزائه ، أمّا الاستعادة اللاتقيدية فهي استحضار القواعد لا من أجل تأسيسها من جديد وإنّما لتحتيم امتدادها الاستمولوجي <sup>9</sup> .

#### - التّأويل الفني لجادامر:

قدّم هانس روبرت جادامر ( 1900-2002 ) وعيا جديدا باستقبال النص من خلال رؤيته التّأويلية بإعادة فهم الفهم ذاته ، فنظر إليه باعتباره فنّا غير خاضع للمنهج العلمي وهذا ما تجلّى في كتابه " الحقيقة والمنهج " الذي أصدره سنة 1960 متأثراً بأستاذه هيدغر الذي تمّ على يديه نقل الهرمينوطيقا من المجال اللاهوتي الديني إلى المجال الفلسفي والأدبيّ . قام في هذا الكتاب بمسح لتأويلية القرن العشرين فأراد أن يثبت بذلك كونية القضية التّأويلية وهذا ما تجلّى فيما بعد من خلال مقال له سنة 1966 عنونه بـ " كونية مشكلة الهرمينوطيقا " <sup>10</sup> .

<sup>8</sup> - عمارة الناصر : اللغة والتّأويل ، عمارة الناصر : اللغة والتّأويل ، ص 32 .

<sup>9</sup> - ينظر : نفسه ، ص 45 .

<sup>10</sup> - ينظر : - نفسه ، ص 73 .

- دايفيد جاسبر : مقدّمة في الهرمينوطيقا ، ص 145 - 148 .

يرى جادامر أنّ أيّ فهم للعمل الأدبي هو نتيجة حوار وتفاعل الماضي والحاضر في وعي القارئ ، هذا الوعي الذي " يكون في حالة امتلاك بالقوّة لتاريخه ، وبهذا تتضاعف مهمّة التّأويل بالعودة في كلّ مرّة إلى قراءة تاريخ الذات " <sup>11</sup> . وهذا يعني وجود مفاهيم مسبقة وهو ما سمّاه الوعي التاريخي . كما استعمل مصطلح الأفق الذي مثّل أساس نظرية التلقي عند ياكوبس وتلامذته باعتباره الرأى المسبق الذي يحمله الفرد بوعي منه أو دون وعي <sup>12</sup> .

وبذلك انتقلت التّأويلية من مجال النصوص الدينية المقدّسة إلى النصوص الأدبية مركّزة على دور القارئ باعتباره مبدعا ثانيا للنص من خلال مجموعة مفاهيم اعتمدها أهمّها الوعي التاريخي وأفق القارئ اللذان عرضناهما من زاوية رؤية جادامر . وهي مفاهيم فتحت المجال واسعا للتأسيس لنظرية خاصة بالقارئ هي نظرية للتلقي .

---

<sup>11</sup> - عمارة الناصر : اللغة والتأويل ، ص 74 .

<sup>12</sup> - ينظر : روبرت سي هولب : نظرية الاستقبال - مقدمة نظرية ، تر: رعد عبد الجليل جواد ، دار الحوار ، سوريا ، ط1 ، 1992 ، ص 58 .

- مصادر البحث ومراجعته :

- 1- دايفيد جاسبر : مقدّمة في الهرمينوطيقا ، تر: وجيه قانصو ، منشورات الاختلاف ن الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط1 ، 2007.
- 2- عمارة الناصر : اللغة والتأويل - مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، دار الفارابي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط1 ، 2007 .
- 3- روبرت سي هولب : نظرية الاستقبال - مقدمة نظرية ، تر: رعد عبد الجليل جواد ، دار الحوار ، سوريا ، ط1 ، 1992 .